مقدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين . . . وبعد ، ، ، فهذه مقدمه لابد منها للتعريف بهذا الكتاب الذي كما يدل عليه أسمه ـ يتناول تاريخ أحد العلوم الطبية وهو العلم الصيدلي .

قد يطرح سؤال هنا : ماجدوى دراسة تاريخ علم من العلوم ومدى علاقة هذه الدراسة بالعلم المعاصر ، وهل يمكن أن نطبق المداواة التي قد نراها في سياق أستعراضنا لهذا التاريخ ؟ إذا كنا لانستطيع ذلك فلم هذه الدراسة وهذا التنقيب عن القديم الذي يستحيل في غالب الأحيان تطبيقه ؟

لنسأل أنفسنا هل كل ما وصل إلينا من علوم بشكل عام وعلوم طبية وصيدلية بشكـل خاص وليد تطور السنـوات الأخـيرة أم أنـه يضرب بجذوره عمقا في التاريخ ؟ وهل المعارف الأنسانية بشكلها العام الذى نراه الآن عبارة عن طفرة أو هى كثورة بركان أتت بغتة بدون إستهلال ولا تطور ؟

لاشك أن العلوم كافة خضعت لتطور عبر الحضارات منذ آلاف السنين حتى وصلت الينا بشكلها الحاضر الذى نراه شديد التطور والتقدم عندما نقارنه بالقديم ولكن لولا هذا القديم لما وصلنا إلى التطور الحديث . وأصدق مثال لذلك ما نراه في تدريس بعض النـظريات في مختلف مستويات التعليم ، فكما أنه من السخف أن تدرس المعلومة في الجامعة بمستوى ما يتلقاه طالب المدرسه الأبتدائية كذلك يكون مضحكا أن يتعلم الطفل في مستواه الأوّلىّ هذه المعلومه بأسلوب جامعي ، وهذا مانراه في كيفية إعطاء المحاضرات العامه أو المتخصصه في الميادين العلمية .

لذا فعندما تجرى دراسة أى علم من العلوم لابد أن تجرى متابعة تطور هذا العلم وذلك بسبر غوره والوقوف على خصائصه ولاتخرج عن ذلك العلوم الطبية .

فدراسة هذا التطور يسمح بالربط بين القديم والجديد ، كما أن هذه الدراسة توضح الصورة عن مدى تطور هذا العلم والنظريات التي تشرحه والأسس والنظم التي تحكمه . فتاريخ العلم هو دراسة لهذا التطور الذي مربه العلم ، وهو في الوقت نفسه دراسة لتسلسل مفهوم هذا العلم وتتبع لمساره لنصل إلى الفهم العميق لنظرياته وأفكاره . وبهذه الدراسة نرى كيف تتجمع المعلومات والممارسات والأفكار عبر العصور المختلفة وكيف يجرى بناء النظريات لنصل إلى سعة الأدراك في فهم وتوضيح ماهية هذه العلوم.

ومن الأغراض الأخرى التي يحققها تاريخ العلوم هو التنقيب عن التراث وتوضيح هذا التراث ومدى إسهام شعب أو أمة من الأمم في التراث الإنساني . فهو بالنسبه لكثير من الشعوب مصدر عزة وكبرياء ونزعه شوفينيه متعاليه وأما بالنسبة للمسلمين والعرب فهو مصدر عزة وإسترجاع للماضي الذي عز فيه المسلمون بما شرفهم به الله عز وجل بخاتم الأنبياء وأكمل الخلق الرسول الكريم (ﷺ) ، وبرسالة الهدى للعالمين جميعا .

وفي إستعراضنا لتطور العلوم بشكل عام نرى أنه كلما أوغلنا في القدم كلما غلب عليها طابع الشمول وعدم التخصص ، بل ونرى الكثير من المعلمين القدماء لهم الطابع الموسوعي أى أنهم قاموا بدراسة كل ألوآن المعرفه في عصرهم .. ولم يأت التخصص وإنفصال فروع المعرفه وإستقلالها عن بعضها بعضا إلا في عصور متأخره نسبيا ، وبعد أن أصبح لاغنى عن ذلك مع توسع ألوان المعرفه بحيث يتعذر إستيعابها كلها بآن واحد . وبنفس الوقت فإن العلوم والمعارف الإنسانية أصبحت تتطلب رقيًا وتقدما في تطبيقاتها وممارستها مما حتم التخصص الذى يؤدي إلى الإتقان والإبداع .

وهكذا نرى أن العلوم الطبية ظلت ردحا طويلا من الزمن دون تخصص في ممارستها بحيث كان الطبيب صيدليا والصيدلي طبيبا ـ وشمل ذلك طب الأسنان والتمريض والتخدير وغير هذا من ضروب الممارسه الطبية .

ويعود الفضل إلى العرب المسلمين في فصل الصيدلة عن الطب وإلى ظهور

بعض التخصصات الطبية بحيث نرى أن أول صيدلية عرفت في التاريخ هى صيدلية أقيمت في بغداد في عصر الدولة الأسلامية العباسية في أوج ازدهارها كما أن أصول ممارسة المهنه طبق لأول مره في تلك العصور الزاهرة حيث كانت تجرى الإمتحانات لمن يريد الممارسة ومن ثم يرخص له بمزاولة المهنه .

والفاظ «الصيدلية» و «الصيدلاني أو الصيدناني» حسب ماأورده البيروني في كتاب «الصيدنه في الطب» كلمات معربة عن الهندية غالبا وصلت للعرب من الفرس وأصلها «جندل» أو «جندن» بعد أن قلب الجيم صادا فأصبحت «صندل أو صندن» وهو خشب عطري يأتي من الهند بهذا الأسم وأصبحت هذه التعابير تدل على جمع الأدوية واختيار الأجود منها ، ولاننسى في هذا المجال أن العنصر النباتي كان أساس المعالجات القديمه لذا نرى كثيرا من التعابير كالعشاب تدل على من يقومون بجمع الأعشاب وخزنها وأختيارها للمداواة ، وفي اللغات اللاتينية نرى ترجمة للصيدلة بكلمة (Pharmacie - Pharmacy) وهى مشتقة كالكثير من الكلمات العلمية من التعبير اليوناني (Pharmakon) ومعناها الدواء وهى عمل النباتات في الشفاء من المرض والتأثير السمى (Sonnedecker) وكان هذا غالبا ينحصر في ما يستعمل في التنقيه عن طريق الأسهال . وأن مفهوم كلمة التطهير (Catharsis) والتي نجدها في الطب لدى الشعوب القديمه كانت السِّمه العامه في الطب القديم . هذا المفهوم الذي كان يؤلف معتقد الشعوب القديمه للتخلص والتطهير من الخطايا والذنوب . فمن المعتقد أنه من كلمة التطهير (Catharsis) بمفهومها الديني والتي كانت شائعه في كل المعتقدات القديمه لدى الشعوب القديمه كلها أنبثق تعبير ومفهوم الفارماكون (Pharmakon) بمعنى التنقيه عن طريق التطهير .

وهنالك الكثير من الكلمات والتعابير والمفاهيم التي تستعمل في الصيدلة والتي تعود بأصولها إلى الحضارات القديمة والتي لانجد مجالا لبحثها في كتابنا هذا . لذا فنحن نستسمح القارىء عذرا عندما لايجد إسهابا في بعض المواضيع ولكنا نسأل الله أن يكون هذا الكتاب قد أوفى الغرض من تأليفه وهو تقديم كتاب يساهم في إغناء المكتبة العربية بالكتب التي تتعلق بتاريخ العلوم وبالحضارة الإسلامية العربية التي أضاءت ظلام الجهل ردحا من الزمن .

وقد أتبع في هذا الكتاب الترتيب التاريخي في سرد العلوم عن مختلف الشعوب والحضارات ابتداءً بعصر ماقبل التاريخ ثم بالعلوم الطبية لدى الحضارات القديمة كحضارة شعوب مابين النهرين ثم العلوم الطبية لدى الإغريق وإحتلت الحضارة الإسلامية العربية جزءا كبيرا من الكتاب لما لها من الأهمية الفائقة في تطور العلوم الطبية وتناولنا الطب النبوي وهو ماورد في أحاديث رسول الله (ﷺ) ، مما له علاقة بالمداواة والعلاج ، وفي بحثنا للصيدلة الحديثة مرورا بالعصور الوسطى ممارسة وعلما وتعليما حيث نرى مدى التطور الذي حدث في عصر النهضة في أوروبا حتى وصلت المستوى الذي بلغته اليوم .

ونسأل الله أن يكون قد ألهمنا الصواب وجنبنا الزلل ـ ونرجو منه عز وجل أن نكـون قد وفقنـا لتقـديم صورة عن تاريخ هذا العلم النـافـع الذي كان للمسلمين دور أساسي في تطويره .

قال الله تعالى :

﴿وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾

صدق الله العظيم

الفصل الأول

الطب في العصر القديم

الفصل الأول
الطب في العصر القديم

أصل الطب في عصر ماقبل التاريخ :

قد لانجد علما من العلوم يوغل في التاريخ السحيق للبشرية كالعلم الطبي فحينما وجد الانسان لحق به الخلل في إحدى وظائفه العضوية وأمسكت به العله وسقمه المرض ، فإنعكاسا لما كابده لابد أن يلتفت حوله محاولا أن يخفف عن نفسه وطأة المرض وأن يعالج هذه العله . فالمداواة ومحاولة تخفيف الألم ومعالجة المرض هذه كلها ليست وليدة العصور المتأخره الحديثة بل هى قديمه قدم المرض نفسه ، وعلى هذا فإن المتتبع للتاريخ الانساني لايمكن أن يضع تاريخا معينا للمعالجه الطبية والمداواة ليقف ويقول : من هذه النقطه أو من هذا التاريخ أبتدأ الانسان فنون المداواة ومحاولة العلاج ، فحيثما كان الانسان صحبه المرض وأصابه الخلل في الوظائف الطبيعية وأنى وجد وجدت الأمراض والمداواة ومحاولات العلاج .

وعندما تجري دراسة أى موضوع أو نبحث في أي علم فلابد من أن نتابع تطور هذا العلم وذلك بسبر غوره والوقوف على خصائصه ولا تخرج العلوم الطبية عن ذلك فدراسة هذا التطور تسمح بالربط بين القديم والجديد ، كما أن هذه الدراسة تعطي فكرة عن مدى تطور مفهوم هذا العلم والنظريات التي تشرحه والأسس والنظم التي تحكمه ، فتاريخ العلم هو دراسة لهذا التطور الذي مر فيه العلم وهو في نفس الوقت دراسة لتسلسل مفهوم هذا العلم وتتبع لمساره حتى نصل إلى فهم هذا العلم، حيث نرى كيف تتجمع المعلومات عبر العصور المختلفة وكيف تبنى النظريات كما أن هذه الدراسة توسع الأدراك لفهم وتوضيح جلية هذه العلوم.

وحيثما تكون الحضارة في المجتمعات الإنسانية فإننا نرى نشوء الطب والصيدلة لأن هذين العلمين يلبيان بعضا من أهم الحاجات الإنسانية الأساسية التي لاغنى عنها للفرد، حيث نرى ذلك قدما في الدهر السحيق، فمنشؤوها لانجده إلا عبر آلاف السنين الغابرة فهى قديمه قدم الانسان نفسه، وعلى هذا فإن الآراء تتضارب في تاريخ نشوء الصيدلة وذلك بغياب الدليل المادي القاطع على بداية ونشوء هذا العلم، ويبقى بعد ذلك عبارة عن ضرب من التكهنات القائمه على تحكيم المنطق وضرب الأمثال، فمثلا نحن نعرف الكثير عن الأمراض التي أصابت الأنسان في عصر ما قبل التاريخ وذلك بفعل آثار التلف التي سجلت على عظام هذا الانسان والتي بقيت عبر آلاف السنين، ولكن تبقى تلك الجهود الأولى اليائسه والعشوائية من قبل الانسان البدائي لاستخدام بعض المواد الطبيعية كعلاجات لإزالة الأعراض ومحاولة إزالة التلف الذي أصاب جسمه، تبقى هذه الجهود غير موجودة بشكل واضح على الآثار التي وصلتنا.

فالتشريح المرضى الحجري (Paleopathology) مكننا من إدراك وجود عدد من الأمراض لدى انسان ماقبل التاريخ، فالهياكل العظمية التي تشوهت مفاصلها تشير إلى شيوع مرض الرثية (الحمى الروماتيزمية) وعزيت من قبل بعض المؤرخين إلى الغذاء غير الكافي والطقس الرطب كذلك فإن بعض الأمراض مثل الكساح (Rickets) لم يكن موجودا لدى هذا الانسان، ويمكن تصنيف هذه الأمراض كأمراض حضارية نشأت عن إبتعاد الانسان عن المصادر الطبيعية غير المعاملة للغذاء، والسل كمرض كان نادر الحدوث فمن بين آلاف العظام التي تمت دراستها وجدت احدى عشرة حالة فقط لهذا المرض بعضها ليست قاطعه الدليل، والزهري Syphilis لم يتم التأكد من وجوده نظراً لأن القروح التي على الاسنان والعظام لايمكن أن تعزى بصورة جازمه إلى هذا المرض، وفي هذه القضية فإننا يمكن أن نعرض لما قاله العالم (A.V. Vallois) حين قال: «الزهري مرض باطني المنشأ (Endogenous) لدى الانسان وقد رافق انسان ماقبل التاريخ ولكن في مناطق محدودة جدا، وأن أهمية الجراحه الحقفية (الجمجمية) ومهارة جراحي حقبة ماقبل التاريخ كانت هدفا لكثير من الدراسات وأن فحصا دقيقا لبعض نماذج العظام برهن على أن العمليات كانت تجرى على الجروح الكسرية في الحروب أو في الحوادث.

وأن تعبير «عصور ماقبل التاريخ» (Pre-historic Times) ليس معناه حقبة بربرية خالية من البعد الثقافي، فالتعبير الذي يطلق على هذه الفترة كبدائية (Primitive) يمكن أن يعني فقط بعض الحضارات الخاصة التي تختلف عما جاء بعدها من الحضارات لوجود الكتابة والتسجيل في الأخيرة، فهذا يعني حتمية وجود المداواة البدائية وماقبل التاريخيه.

نظر الانسان البدائي إلى قضية الموت والموتى برهبة وخوف، هذا الشعور الذي لايزال يراود الكثيرين من الناس في العصر الحاضر، فعلى الرغم من أن الموتى لاحول لهم ولاقوة، إذ بعد خروج الروح يتحول الانسان إلى جثه جامدة فإن الكثيرين يخافونهم ويحاولون الابتعاد عنهم ويكاد يفرق الانسان من فكرة بقائه مع الميت وحده، وأن فكرة النوم في المقابر ولو كانت فكرة تثير القشعريره في أبدان الكثيرين، ولخوف الانسان البدائي من الموت والموتى فإن أداءه لواجبات الأحترام والتكريم لهؤلاء الموتى كان بنظره كفيلا بدفع شرهم وكف أذاهم وإكتساب محبتهم.

وقد كانت واجبات التكريم للموتى لدى بعض الشعوب تمتد إلى الإعتناء بأجساد هؤلاء الموتى وحفظها وتحنيطها ووضع كل ماتحتاج إليه من طعام وأدوات وزينه قرب أجسادهم إذ كان الإعتقاد سائدا بأن الروح ستعود إلى أجسام الموتى ولهذا ينبغي أن تحفظ بشكل جيد حتى تكون مستعدة لاستقبال الروح.

وهناك بعض الشعوب ممن يؤمنون بتناسخ الأرواح بمعنى أنه ليس من الضروري أن تعود الروح إلى نفس الجسد، فهى تهيم على وجهها حتى تصادف جسدا مناسبا لها تحل به وينشأ من ذلك كائن حى آخر، وهكذا... وهذه الفكرة مازالت موجوده عند بعض الشعوب.

وقد أثارت قضية الروح مخيلة الكثيرين من الشعوب وأوجدت تفسيرات مختلفة من حيث ماهيتها وإختلافها عن الجسد وحتى تغادر هذا الجسد وغير ذلك من الأمور الغامضه وتداخل السحر والشعوذه في ادراك الشعوب القديمه لحقيقة المرض وبصورة خاصة تلك الأمراض الداخلية أو الباطنية، فالجروح والكسور بل

ولدغ الحشرات والأفاعي كانت من الأمور الماديه المحسوسه لدى الإنسان القديم، بينما لعبت الشعوذه والسحر والتدجيل دورها في تفسير المرض الباطني وذلك لأن الانسان لايشعر بها بصورة مادية محسوسه. وقد أدى هذا إلى رفعة مكانة الساحر المطبب في قومه فهو يجد دائما تفسيرا لكل شيء يصيب الانسان فان غابت الأعراض التي يشكو منها المريض عد ذلك دليلا على حسن توسطه لدى الأرواح الشريره، أما إذا مات المريض فلا لوم عليه ولا تثريب فالأرواح الشريره أو قوى الشر تغلبت على قوى الخير أو أن القربان المقدم لم يكن كافيا. وغير ذلك من التفاسير، ومن الغريب أن هذه المعتقدات مازالت موجوده مع الأسف لدى بعض الناس بل وفي بلاد المسلمين، ونذكر القارىء بالدجالين الذين يزعمون أنهم يزيلون السحر عن بعض الزوجات حتى يعود اليهن الأزواج ويستطيبون عشرتهن.

ومن المفارقات التي نراها لدى تلك الشعوب أن المطبب الداخلي أو الباطني والذي غالبا مايكون كاهنا كان يلقى من الإحترام والتبجيل أضعاف مايلقاه الطبيب الجراح الذى كان يقوم بعمل جيد حتى بمقاييس عصرنا الحاضر.

ولكن هل كان الانسان خاليا من أى شكل من أشكال الممارسه العلاجية؟ هل نستطيع أن نلغي دور الغريزه والتجربه والقياس التي يقوم بها الانسان في جوانب الحياه المختلفه عن الممارسه العلاجيه؟ هذه الأمور كلها طافت في ذهن الانسان البدائي، فالماء ينظف الجرح مما علق به من أقذار ثم هدته غريزته وقياسه وتجربته إلى فعل اللعاب كمسكن لبعض الحالات وإلى وضع المواد على الجرح لايقاف النزف ولابد أن تجربته وقياسه قد أعطياه مجموعه من المعلومات العلمية التي كانت في ذاكرة المجربين والتي كانوا يعلمونها وينقلونها لذرياتهم بحيث تطورت تجارب الانسان ونمت عبر السنين، وطبعا ليست كل هذه المعلومات ايجابية في الشفاء والمعالجه بل كان يشوبها الكثير من السحر والشعوذه ولايستبعد هذا مع ضيق تفكير هذا الانسان البدائي وعدم تقدمه.

وأصدق دليل على دخول الكثير من المعتقدات غير الصحيحه عبر السنين هو مدى التقديس الذى نظر به الانسان لمن يقوم بمعالجته، فالكثيرون من آلهة الطب

لدى الشعوب القديمه أبتدأ كانسان عادي حذق في مهنة المعالجه واعطاء الدواء فتحول من طبيب معالج إلى المعبود الشافي الذي تقام له التماثيل في المعابد وتذبح له القرابين بل ونشأت طبقه من الكهان يقومون على هذه المعابد والذين غذوا فكرة عبادة آلهة المعالجه وتقديسهم ماديا ومعنويا من هذا التكريم والتقديس باعتبارهم الوسطاء بين الآلهه والمرضى.

ومن الواضح أن السحر والشعوذه والكهانه كلها لعبت دورا مهما بالنسبه للأزمان القديمه ومع ذلك فان هذه الأمور ليست مسئوله عن بداية إستعمال الانسان للعلاجات داخلا، فقد لعب الحس كما لعبت الغريزه أو مايسمى أحيانا بالوظيفه الحيوانيه (Animal Function) الدور الأساسي في بداية هذا الاستعمال لتأتي بعد ذلك العوامل الأخرى مثل التجربه كى تؤكد ذلك الحس، فالتجربه أو مايسمى بالطب التجريبي أصبح بشكل متزايد هو المصدر والمنشأ للعلم الطبي والصيدلي حيث جرى تصنيف وتنظيم هذه الملاحظات كما جرى تنقيتها وتصحيحها وتمحيصها، وتداخل كل من السحر والشعوذه والكهانه مع المعلومات الطبية إلى حد كبير وبقيت كذلك حقبه متقدمه من الزمن نسبيا وتفاوتت بتباعد البلاد وتباينها.

ويدور جدل حول عراقة الحضارات القديمه ومدى اسهامها أولا في العلوم الصيدلية، فما هى الحضارة التي جاءت أولا في المجالات الطبية والصيدلية؟ هل هى حضارات الشرق الأقصى؟ أم تلك التي قامت في الشرق الأوسط والأدنى؟ فتحديد ترتيب الحضارات من الصعوبه بمكان نظرا لعدم دقة التواريخ ولأن الكثير من الأمور يجرى أستنباطها وأستنتاجها بحيث ينقصها التحديد والدقه.

وليس هنالك من شك في المدى الذي وصلت إليه انجازات حضاران الشرق الأقصى المبكره ومافيها من وفره كبيره في المادة الطبيه (Materia Medica) مما نجد أثره في مفردات اللغات الغربية وماوصل منها عبر بعض الحضارات القديمه والمتوسطه مثل الحضارة اليونانية والحضارة العربية الاسلامية وعلى كل حال فان الصيدلة في الغرب الحديث تجد جذورها ومنبعها بشكل واضح في حضارات وادي النيل ومابين النهرين.

الطب في بلاد مابين النهرين: (الحضارة البابلية والآشوريه)
(Babylonian/AssyrianMedicine)

يطلق هذا التعبير على البلاد الواقعه بين نهرى دجله والفرات، وهنا لاننسى أن ننوه بأن الحضارت القديمه كانت كثيرة الأرتباط بالمصادر الطبيعية للثروات وبـالأنهار بشكل خاص لما تقدمه الأنهار من وسائل المواصلات والمياه المستمره وإمكانية الزراعه وهى أكثر النشاطات الإقتصادية تأثيرا في حضارات الشعوب القديمه، فالكتابه المسمارية (Cuniform) ظهرت لدى السومريين منذ ٣٠٠٠ سنه قبل الميلاد "BC" وبهذا دخلت الحقبة التاريخيه بهذه الكتابه فهؤلاء ومن ورث حضارتهم ـ الحضارة السومرية وهم البابليون وبعد ذلك الآشوريون قد تركوا آلاف الألواح الحجرية في أطلال حضارتهم العظيمه، وبقيت هذه الحضاره مبهمه حتى قرن مضى حين أستطاعت حفنه من الباحثين أن تعثر على كمية كافيه من اللغه الضائعه للوصول إلى المحاولات الجدية للترجمه، ونحن الآن نملك صورة واضحه بشكل كاف للانجازات العامه في هذه الفترة من التاريخ القديم على الـرغم من أن الابحـاث تظهـر المـزيد يومـا بعد يوم، ومن المشاهير في هذه الحضـارات وهم الـذين بلغـوا ببلدانهم الأوج في الحضـارة ـ نجد ملك بابل الكلداني، حمورابي الذي عاش في فترة ٢٠٠٠ سنه قبل الميلاد تقريبا (شريعة حمورابي الشهيرة) وخلف البابليون أو الكلدانيون الآشوريين الذين إتخذوا نينوي عاصمـة لهم، وقـد إنتقلت آثار هذه الحضارة وأثرت في الشعوب المجاورة في الشرق. وكانت الألواح الفخارية تجهز ثم يكتب عليها بقلم مدبب من نبات الغاب ثم يجري تجفيف هذه الألواح بالشمس في أول الأمر ولكن لجأوا إلى شيها في الأفران الحرارية لأن هذه الألواح تفقد المقاومه تجاه العوامل الطبيعية، وكان ذلك منذ ٢٠٠٠ سنه قبل الميلاد.

الأسس العلاجية العامه (General Bases of Treatment).

كنتيجـه للإعتقـادات السائده بالرموز والعلامات بكافة أنواعها فإن حدوث المرض أعتبر بصورة رئيسية نذيرا يقع تفسيره على عاتق الكاهن الذي يعمل هنا كعراف والذي عليه أن يطرد الأرواح الشريره وهو يمثل بالوقت ذاته دور المعالج

والشافي الذي يعالج المرضى بصورة مباشرة أضافة إلى ما تقدم من الكهانه والسحر فهذه المظاهر الثلاثة للطب البابلي الأشوري وهى طرد الأرواح الشريره والعرافه والمعالجه الطبية المباشرة تمتزج مع بعضها بعضا لتعطي الصيغه المركبة التي تميز العلاج القديم، فعناصر المعالجة التي ذكرت لايمكن فصلها عن بعضها بعضا.

فالمرض كان يعتبر عقوبة الهية والشفاء لايكون إلا بتطهير الجسم وعلى هذا أتخذ العلم الطبي مكانا ثابتا في المعتقدات الدينية، حيث يتجلى التطهير منذ القدم السحيق من الذنوب بالكفاره التي تسمى بالتنفيس أو التخليص، فهذا النوع من العلم الطبي الذي يلعب فيه التنفيس والتخليص عنصرا أساسيا في المعالجه نجده في الحضارات القديمه كالآشورية البابلية والمصرية وإلى حد ما في الحضارة اليونانية، يمكن أن يصنف تحت اسم الطب السحيق (Archaic Medicine) وهذه النظرية من الأمور البالغه الأهمية بالنسبه للعلوم الصيدلية لأنها تعطي الأصل الأغريقي لكلمة فارماكون (Pharmakon) والتي يعتقد أن كلمة الصيدلة (Pharmacy) قد أشتقت منها، فمن نظرية التخليص والتطهير (Catharsis) نشأت كلمة فارماكون التي تعني التنقية من خلال التطهير والتي كان لها المدلول الروحي في أول الأمر ثم أصبح لها المدلول الدوائي حيث نرى التسمية هذه Cathartics تعطي للأدوية المسهله الفعاله.

ومن الضروري أن لانغبط الحضارت القديمه حقها في المساهمه العلمية كحضارة مابين النهرين وحضارة قدماء المصريين وإلى حد ما الإغريقية، وذلك لدخول الشعوذه والسحر في العلم الطبي والصيدلي، فالسحر بالنسبه لهذه الشعوب كان جزءا من العلم المنظم والمصنف، حيث رافق الإكتشافات الناجمه عن التجريب جنبا إلى جنب.

المادة الطبية في حضارة مابين النهرين:

نجد الكثير من الأدوية والعقاقير في هذه الحقبة في الطب القديم، وقد أستطاع العالم د. كامبل ثوميسون عند فحصه المئات من اللوحات الفخارية المستخرجه من مكتبة الملك بانيبال الآشوري أن يتعرف على ٢٥٠ (مائتان وخمسون) عقارا

نباتيا، ١٢٠ (مائة وعشرون) دواءا معدنيا، كما وجد كذلك أن المشروبات الفولية والدهون والزيوت وأجزاء الحيوانات والعسل والشمع والألبان المختلفة كلها كانت تستعمل دوائيا، فالآشوريون كانوا يستعملون أكثر إن لم يكن كل المواد المعدنية التي ذكرت من قبل العالم ديسقوريد اليوناني في كتابة الشهير عن المادة الطبية (القرن الأول للميلاد).

هذا وقد لعبت المواد المقززه دورا هاما في العلاج البابلي الآشوري لإعتقادهم بأن هذه الأقذار تدعو إلى قرف الروح الشريره التي غزت جسم المريض وبالتالي فان هذه الروح كانت تضطر لمغادرة الجسم قرفا.

ومن العقاقير النباتية نذكر: تربنتين الصنوبر، والميعه الصمغية (Storax) والحنتيته (Asafeotida) أو جذر العرج (Calamus) والخروع والنعناع والأفيون وعرق السوس (Glycyrrhiza) واللفاح (Mandrogre) والقنب الهندي والزعتر والزعفران (7Crocus) والمر (Myrrh) والحلبينه (Calbarum) والخربق (Hellebore).

كما أن الأشكال التي كانت تقدم بها العقاقير إشتملت على الأنبذه الطبية والجراعات (Draught) والأمزجه والمراهم والدلوك (Embrocation) والكمادات (7Cataplasm) والرحضات (Enemas) وكمادات الجروح (Poultices) واللصاقات (7Plaster) والغسول (Lotions) والنقوعات (Infusions) والمطبوخات (Decoctions) والتبخيرات (Fumigation).

ولعل أقدم وثيقه صيدلة معروفه تبين كيف قام السومريون بتحضير هذه الأدوية قبل مالايقل عن ٤٩٩٩ عام والتي تحوي عددا من التحضيرات كالتالي:
«أسحق بذور النحار (Gymnosporia Serratalees) مع الصمغ الراتنجي لنبات الماركازي (Markasi) والزعتر، أذب في البيره ثم دع المريض يشربها.

يؤخذ مقدار من الخردل الأسود ويعجن بماء الورد ويوضع فوق الرأس وتغطى برباط لمدة ثلاثة أيام.

ولمعالجة أمراض الصدر أستعملت الطريقة الآتية: يوضع مغلى الشمر في وعاء

فخارى، تغلق فتحته بالطين ويمرر منها عود من نبات الغاب، يوضع في الفم ليتلقى المريض بواسطته الأبخره، ويتبين من ذكر ماء الورد في الوصفه السابقة أن الأنبيق (جهاز التقطير) كان معروفا ومستعملا في هذه البلاد.

ولقد كانت التشريعات الطبية متقدمه في هذه الحقبه من التاريخ السحيق فقد نشأت طبقة ممن يقومون بتحضير العلاجات والمواد التجميلية وتدعى (Pasisu) وورد أن عملية بيع الأدوية والأتجار بها كانت تتم في شارع معين في مدينة سيبار وذلك في عهد حمورابي، كما جاء في إحدى التشريعات المنظمه لمهنة التطبيب «أن من أستعمل المشرط البرونزى وأخطأ في إستعماله تقطع يده، كما يحبس من يتقاضى أجرا أكثر من اللازم وهذا يدل على أن مهنة الطبيب الجراح أقل قدرا من مهنة الطبيب الداخلي الذي لم يكن أحد يجرؤ على محاسبته إذا أخطأ في معالجة المريض حتى ولو أودى بحياته وسبب ذلك يعود إلى نظرة الأقدمين إلى منشأ المرض وأسبابه، فالجراح يقوم بمداواة مادية محسوسة أما الطبيب الداخلي فيعالج علة مبهمه مجهوله السبب، أو سببها يعود إلى الأرواح الشريره التي من الصعب معالجتها».

ومما ينبغي التنويه به هو وجود رمز لدى حضارة مابين النهرين، هو قضيب واقعي يذكرنا بالرمز الحالي للطب على الرغم من أن هذا آتانا من الحضارة الأغريقية.

الطب عند قدماء المصريين: Old Egyptian Medicine

تعتبر حضارة مصر القديمه واحده من أعرق الحضارات الانسانية وأقدمها حيث يمتد تاريخ الحضارة لدى قدماء المصريين إلى أربعين قرنا قبل الميلاد، ونظرا لقرب مصر من بقية أقطار الشرق الأوسط وغياب الحواجز الطبيعية بينها فان للحضارة المصرية القديمه صله وثيقة بالحضارة البابلية ـ الآشورية، فكلتاهما غلب عليهما السحر، وكان النبلاء وصفوة القوم هم المعنيين بهذه الحضارة، وقد ظلت الحضارة المصرية القديمه شبه مجهوله فيما يتعلق بأسلوب الحياه وبمظاهرها المختلفه فترة طويله من الزمن، وذلك بسبب عدم المعرفه بالكتابه المصرية القديمه

(الهيروغليفية) وقد أمتد هذا الجهل حتى عام ١٧٩٩م وهو العام الذي عثر فيه شامبليون على حجر رشيد Rosetta Stone في الرشيد (من مصر) وهو وثيقه كتبت بثلاث لغات هى الهيروغليفية، والهيروغليفية المحلية، والاغريقية، ومنذئذ تم الحصول على تقدم هائل في تفسير وترجمة كل ماوجد من آثار مصر القديمه.

أشتهر قدماء المصريين بتحنيط موتاهم حرصا على الاحتفاظ بهذه الأجسام، وقد بين الفحص المتمعن للموميات من قبل العلماء وجود آثار لأمراض مختلفه في هذه الموميات، فبالتحليل الدقيق والتحليل الكيماوي والمجهري والباثولوجي أنكشفت الأمراض مثل النقرس والرثيه (Rheumatoid Arthritis) والتهاب النتوء الحلمي (Mastiod Diseas) والتهاب الفقرات (Spondylitis) .

هذا وأن مصادر البحث عن التاريخ المصري القديم تتمثل في مصادر أربعه هى: البرديات، والصور، والكتابات المنحوته على جدران المعابد والمقابر والمنازل والاواني المزخرفه والتماثيل، والموميات والهياكل العظمية التي أكتشفت بكميات كبيرة في مقابر المصريين القدماء، كما أن المؤرخين اللاحقين الذين كتبوا عن مصر القديمه مثل هيرودوت الاغريقي، وتيودور الصقلي قد ساهموا في اغناء المصادر للباحثين في هذه الحقبة من التاريخ.

البرديات الطبية أو القراطيس الطبية: Medical Papiri

لقد تمت ترجمة ثمان من هذه البرديات وعلق عليها، هذه البرديات التي كتبت كلها مابين ١٩٠٠ - ١١٠٠ ق.م، على الرغم من أن المعلومات الوارده يعود غالبا إلى زمن أكثر قدما، ولعل أشهر تلك البرديات هى بردية ايبرز (Ebers) باسم العالم الالماني جورج ايبرز نظرا لاحتوائها على العدد الاكبر من الأدوية والصيغ الدوائية.

كان نبات البردى ينمو بكثرة في مستنقعات دلتا النيل، فصنع منه قدماء المصريين الاقمشه والاكاليل وأستخدموا ساقه كطعام بينما أتخذت الجذور والسوق حصرا وحبالا وسلالا وقوارب.